

الحلقة الثالثة

الجنة ورجوعه إلى مكة

الحمد لله الذي رفع سيدنا محمداً ﷺ أعلى الدرجات، وفضله على غيره من المخلوقات وأعطاه ما لم يعط أحداً من سائر النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، والله هو الوهاب المنان ذو الفضل العظيم.

أما بعد فإنّ حادثة الإسراء والمعراج من أبرز الحوادث التي أيدّ الله تعالى بها رسوله، وأظهر بها فضله على العالمين، وحادثة الإسراء والمعراج في حقيقتها كحديقة غناء، حوت من الأزهار أجملها، ومن الثمار أطيبها ومن المفاجآت ما يدهش العقول، ويأخذ بالألباب، ذلك لأنها عمل رباني مباشر، وقدرة إلهية خارقة تخشع لها القلوب، وتقف أمام عظمتها الإدراكات طائعة مستسلمة، لأنها تجد نفسها أمام قدرة قادرة لا يعجزها شيء، وعظمة باهرة تعنو لها الوجوه ويذل لها كل شيء.

وهي في غايتها احتفاء وتكريم لسيدنا ومولانا وحبينا محمد ﷺ بعد أن ناله من أذى المشركين ما ناله...!! وبعد أن تألب عليه الأعداء. ووقفت الدنيا كلها من وراء قريش تحارب دعوته، وتتنكر لرسالته وتتفنن في أنواع الأذى والإساءات المتتابعة له ولمن آمن معه. وبعد أن بذل عليه الصلاة والسلام كل ما أوتيته من حكمة في الدعوة إلى دين، وفي إنقاذ قومه مما هم فيه من ظلام الوثنية وأوضار الجهالة- كان بقي لديه شعاع ضئيل من أمل في أهل الطائف، فذهب يدعوهم ولكنه مع الأسف- لم يجد منهم إلا الغلظة والقسوة، وعندها يؤس عليه الصلاة والسلام من نصرة الخلق جميعاً، واتجه بكليته إلى ربه يدعو، ويستعين، ويستنصره بكلماته البليغة المؤمنة في دعائه المشهور..

وهنا تجيء دعوة الله سبحانه لنبيه، هذه الدعوة المعزة، المنظمة من رب العزة، التي انفرد بها سيدنا محمد ﷺ من بين الأنبياء جميعاً، ليظهر، فضله، ويعلي شأنه، ويريه من آياته الكبرى، وعجائب مخلوقاته العظمى. فكأنّ الله سبحانه يقول لمصطفاه: تعال إلينا لنريك ما لم نُرهِ أحداً من العالمين، تعال إلينا لنمنحك ما لم يحصل عليه غيرك من المقربين، يا حبيبنا لا تحزن مما نالك من الجاهلين، فإذا كان هؤلاء لا يعرفون قدرك، ويحدون عظمتك ويتمارون في تصديقك فإن أهل السماء هم أعرف بك من أهل الأرض.. لا تحزن فلا بد لدعوتك أن تتم، ولا بد لرسالتك أن تنتشر، ولا بد لدينك أن يظهر، ولو كرهت الدنيا كلها، وقد وعدنا رسلنا بالنصر، وأنت من أكرم هؤلاء الرسل، وسيتم الوعد، ولن يخلف الله وعده رسوله.

هذا وقد وردت أحاديث جمة في مختلف كتب الحديث في وصف هذه الحادثة وتفصيلاتها، جاءت أحاديث

وروايات متعددة، منها المجلد ومنها المفصل، منها القوي ومنها الضعيف، منها الصحيح ومنها دونه، ولكنها تستمد أصلها من كتاب الله عز وجل في قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء ، وفي قوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى. وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. أفتمارونه على ما يرى. ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (النجم).

ومن حكم الإسراء والمعراج: ما شاهدته ﷺ، وصوّره له من أنواع الأعمال والأفعال التي يترتب عليها ألوان من الثواب والعقاب ليحدث أمته بما رأى ويرشدتهم ويحذرهم، فيتأهلوا لما فيه المثوبة، ويتجنبوا ما فيه العقوبة، وفي الحديث الصحيح أنه قال: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيت في مقامي هذا حتى الجنة والنار . وقد تقدم الحديث عن الإسراء والمعراج وتتابع اليوم حديثه عن دخوله الجنة ورؤيته لبعض أهل النار ثم عودته إلى مكة .

الجنة:

روى ابن مردويه أن سيدنا عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله أخبرني بما رأيت في الجنة ليلة أسري بك ، فقال: - يا ابن الخطاب لو لبث فيكم ما لبث نوح في قومه ألف سنة أحدثكم عما رأيت في الجنة لما فرغت منه، ولكن يا عمر إذ قلت لي حدثني فسأحدثك عما لم أحدث به غيرك، رأيت فيها قصوراً أصولها في أرض الجنة وأعلاها في جوف العرش، فقلت: يا جبريل هي في العرش وأركانها في أرض الجنة؟ قال: لا أدري. قلت: يا جبريل أخبرني من يصير إليها ومن يسكنها. إذا ضوءها كضوء الشمس في الدنيا، قال: يسكنها ويصير إليها من يقول الحق، وإذا قيل له الحق لم يغضب ومات على الحق. قلت: يا جبريل: هل تسمي أحداً؟ قال: نعم رجلاً واحداً. قلت: ومن ذاك الواحد؟ قال: عمر بن الخطاب. قال: فشقق شهقة خرّ مغشياً عليه إلى الغد من تلك الساعة. قال! أبو محمد فحدثني عبد الله بن الحسن أن عمر بن الخطاب لم يضحك ملء فيه بعد ذلك حتى فارق الدنيا. قال عليّ¹: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حُلُلٌ ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من درّ وياقوت لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوها مدّ البصر، فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة: يا رب بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها. قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون.

¹ الترغيب والترهيب ج 4 / 534 رواه ابن أبي الدنيا.

وقال ² ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا، وسرير هذا إلى سرير هذا، حتى يجتمعان جميعاً فيتكئ هذا ويتكئ هذا، فيقول أحدهما لصاحبه: أتعلم متى غفر الله لنا؟ فيقول صاحبه: نعم. كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله يغفر لنا.

وعن أبي هريرة ³ عن النبي ﷺ قال: والذي نفس محمد بيده، إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر وهجر ومكة. رواه البخاري ومسلم.

وقال ⁴ ﷺ: أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء.

وعن ⁵ جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: ألا أحدثكم بغرف الجنة؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله بأيننا أنت وأمننا. قال: إن في الجنة غرفاً من أصناف الجواهر كله، يرى ظاهرها من باطنها. وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات و الشُّرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. قال: قلت: لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام.

وعن ⁶ أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة، ما بناؤها- قال: لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك، وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها يَنعَم ولا يَبْأس ⁷، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه.

وعن أنس ⁸ قال رسول الله ﷺ: خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجد خضراء، وملاطها مسك، وحشيشها الزعفران، حصاؤها اللؤلؤ، ترابها العنبر. ثم قال لها: انطقي. قالت: قد أفلح المؤمنون. فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل. ثم تلى رسول الله ﷺ: ﴿ومن يوق شخ نفسه فأولئك من المفلحون﴾.

وعن ⁹ أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: أرض الجنة بيضاء، عَرَصَتْهَا صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كتبان الرمل، أنهار مضطردة، فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتتهيج عليهم ريح المسك. فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حُسناً وطيباً، فتقول له: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجاباً.

² الترغيب والترهيب للمنزدي 4 / 543 رواه ابن أبي الدنيا والبخاري عن أنس

³ الترغيب والترهيب 4 / 498 ورواه ابن ماجه

⁴ المصدر السابق ص 558 ورواه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي سيد الخدري

⁵ المصدر السابق ص 511 ورواه البيهقي

⁶ المصدر السابق ص 153 ورواه أحمد واللفظ والترمذي والبخاري وأبو الأوسط وابن حبان في صحيحه.

⁷ لا يَبْأس: لا يشقى.

⁸ انظر رقم/ 94 رواه ابن أرا الدنيا.

⁹ الترغيب والترهيب خ4 ص 514 رواه ابن أبي الدنيا.

وعن ¹⁰ أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً.

وعن ¹¹ ابن عباس: " حورٌ مقصورات في الخيام " قال: الخيمة من درّة مجوفة طولها فرسخ ولها ألف باب من ذهب، حولها سرادق دُورُه خمسون فرسخاً، يدخل عليه من كل باب منها مَلَكٌ بهدية من عند الله عز وجل.

وعن ¹² أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتذهب لها ريح فتُصفق، فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألدّ منه.

وعن ¹³ أبي أمامة قال: إنّ الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة، فيجيء الإبريق فيقع في يده، فيشرب ثم يعود إلى مكانه.

وعن ¹⁴ أنس بن مالك يرفعه قال: إن أسفل أهل الجنة أجمعين من يقوم على رأسه عشرة آلاف-خادم مع كل خادم صحفتان واحدة من فضة، وواحدة من ذهب، وفي كل صحفة لون ليس في الأخرى مثلها، يأكل من آخره كما يأكل من أوله، يجد لآخره من اللذة والطعم مالا يجد لأوله، ثم يكون فوق ذلك رشحٌ مسك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون.

وعن ¹⁵ عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إنك لتنظرُ إلى الطير في الجنة فتشتهيه، فيجيء مشوياً بين يديك.

وعن ¹⁶ أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ في الجنة طائراً له سبعون ألف ريشة، يجيء فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيقع من كل ريشة لونٌ أبيضٌ من الثلج، وألْيَنُ من الرُّبْد ، وألذُّ من الشَّهْد، ليس منهما لون يشبه صاحبه، ثم يطير.

وعن ¹⁷ ابن مسعود أيضاً: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلَّةً حتى يُرى نُحُها، وذلك بأن الله عز وجل يقول "كأنهن الياقوت والمرجان"، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه.

وعن ¹⁸ أنس بن مالك قال: حدثني رسول الله ﷺ: حدثني جبريل عليه السلام قال: يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة. قال رسول الله ﷺ: فبأي بنانٍ تعاطيه، لو أن بعض بنانها بدا ¹⁹ لغلب ضوءه ضوء

¹⁰ المصدر السابق رواه البخاري ومسلم والترمذي.

¹¹ المصدر السابق ص 516 رواه ابن أبي الدنيا

¹² المصدر السابق ص 523 أبو نعيم في صفة الجنة

¹³ المصدر السابق ص 524 رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد

¹⁴ المصدر السابق ص 525 رواه ابن أبي الدنيا واللفظ له والطبراني ورواته ثقات

¹⁵ المصدر السابق! ر 527 ابن أبي الدنيا والبخاري والبيهقي

¹⁶ المصدر السابق ابن أبي الدنيا وحسن الترمذي إسناده لغير هذا المسند

¹⁷ المصدر السابق ص 533 رواه ابن أبي حبان في صحيحه والترمذي واللفظ له

الشمس والقمر، ولو أن طاقةً من شعرها بدت لمألت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكته إذ أشرق عليه نور من فوقه، فيظن أن الله عز وجل قد أشرف على خلقه فإذا حوراء تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله تبارك وتعالى " ((ولدينا مزيد)) فيتحول عندها، فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى فبينما هو متكئ على أريكته، وإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله عز وجل **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**، فلا يزال يتحول من زوجة إل زوجة. وعن ²⁰ عكرمة عن النبي ﷺ قال: إن الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهن يَقُلْنَ: اللهم أعنّه على دينك بعزتك وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه إلينا بقربك يا أرحم الراحمين.

النار:

قال ²¹ ﷺ: عُرِضَتْ علي النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طُرِحَ فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم غَلِقَتْ دوني. قال ²² ابن عباس: ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف. قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً. قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة. وعن ²³ "حديث شقّي بن مائع قال: إن في جهنم قصراً يُقال له: هوى، يُرمى الكافر في أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله. قال الله تعالى **﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾**" ²⁴ وإن في جهنم وادياً يدعى أثاماً، فيه حيّات وعقارب، فقارٌ إحداهن مقدار سبعين قُلَّةً سُم، والعقرب منهن مثل البغلة الموكَّفة، تلدغ الرجل ولا يلميه ما يجد من حر جهنم عن حَمَوَةٍ لَدَغَتْهَا، فهو لمن خلق له، وإن في جهنم وادياً يدعى غيا، يسيل قيحاً ودماً، وإن في جهنم سبعين داءً كل داء مثل جُزءٍ من أجزاء جهنم. وعن ²⁵ عبد الله بن الحارث الزبيدي قال: قال رسول الله: إن في النار حيّات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرّها سبعين خريفاً. وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكَّفة، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حَمَوَتَهَا ²⁶ أربعين سنة.

¹⁸ المصدر السابق رواه الطبراني في الأوسط

¹⁹ بدا: ظهر

²⁰ المصدر السابق ص 535 رواه ابن أبي الدنيا مرسلًا

²¹ الخصائص الكبرى ج 1 ص 167 رواه ابن جرير وابن المنذر وابن حاتم مردويه والبيهقي وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري

²² المصدر السابق ص 159 رواه الإمام أحمد وأبو نعيم وابن مردويه بسط صحيح

²³ الترغيب والترهيب للمنزري 4/ 469 رواه ابن أبي الدنيا.

²⁴ أي تردى وهلك، وقيل: وقع في الهاوية: والآية في سورة طه

²⁵ الترغيب والترهيب للمنزري 4 لم 476 رواه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم.

²⁶ حموتها: سُمّتها

رجوعه ملكة ﷺ

ثم أصبح بمكة يخبرهم العجائب.

قال أبو هريرة ²⁷ لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذى طوى. قال: يا جبريل إن قومي لا يصدقوني. قال: يصدقك أبوبكر وهو الصديق.

وفي حديث أم سلمة ²⁸ قال بعضهم: فُقد النبي ﷺ تلك الليلة، فنفرت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه، وخرج العباس حتى بلغ ذا طوى، فجعل يصرخ: يا محمد يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ: لبيك. فقال: يا بن أخي عنيت قومك منذ الليلة، فأين كنت؟ قال: أتيت من بيت المقدس. قال: من ليلتك؟ قال: نعم. قال: هل أصابك إلا خير؟ قال: ما أصابني إلا خير .

وعن أم هانئ ²⁹ قالت: بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم، مخافة أن يكون عرض له بعض قریش، فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل أتاني فأخذ بيدي فأخرجني، فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار، فحملني عليها ثم انطلق حتى أتى بيت المقدس. قال: وأنا أريد أن أخرج إلى قریش فأخبرهم ما رأيت، فأخذت بثوبه فقلت: إني أدرك الله أنك تأتي قوماً يكذبونك وينكرون مقاتلتك، فأخاف أن يسطوا بك. قالت: فضرب بثوبه من يدي ثم خرج إليهم. وفي رواية ³⁰ !فتعلقتُ بردائه فقلت: أنشدك الله تعالى يا بن عم أن تُحدّث بهذا قریشاً فيكذبك من صدّك، فضرب بيده على رداءه فانتزعه من يدي فارتفع عن بطنه فنظرْتُ إلى عُكْنِهِ ³¹ فوق إزاره كأنه طيّ القراطيس، وإذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة، فلما رفعتُ رأسي إذ هو قد خرج فقلت لجاريتي: ويحك ³² اتبعيه فانظري ماذا يقول، وماذا يقال له.

وعن أنس ³³ كان رسول الله ﷺ منذ أسري به ريحه عروس وأطيب من ريح عروس .

وعن ابن عباس ³⁴ قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسري بي .

فأصبحت بمكة وعرفت أن الناس مكذبي فقعد معتزلاً حزيناً، فمر به عدو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم. قال: وما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يحجده الحديث إن دعا قومه، قال: أرايت إن دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتني؟ قال: نعم. قال: هيا معشر كعب بن لؤي.

²⁷ المصدر السابق رواه سعيد بن منصور وابن سعد والطبراني والأوسط وابن مردويه

²⁸ المصدر السابق ص 180 رواه الواقدي

²⁹ المصدر السابق ص 177 رواه الطبراني وابن مردويه

³⁰ المصدر السابق ص 178 رواه أبو يعلى وابن عساكر عن أم هانئ رضي الله عنها. (132) العُكْنَةُ: الطيُّ الذي في البطن من السِّمَنِ . (مختار الصحاح)

³¹ العُكْنَةُ: الطيُّ الذي في البطن من السِّمَنِ . (مختار الصحاح) ويح: كلمة رحمة تقال للعتاب. وويلك كلمة عذاب تقال للوعيد.

³² ويح: كلمة رحمة تقال للعتاب. وويلك كلمة عذاب تقال للوعيد.

³³ المصدر السابق ص 157 رواه ابن مردويه .

³⁴ المصدر السابق ص 160 رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبه والنسائي والبخاري وأبو نعيم بسند صحيح.

فانفضت إليه المجالس !، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما، قال: حدث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله ﷺ: إني أسري بي الليلة. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. قال: فمن بين مصفّق ومن واضع يده على رأسه متعجباً، وسعوا بذلك إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أوقد قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أفنصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق. قالوا وتستطيع أن تنعت المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إليه. قال: دخلته ليلاً. فأتاه جبريل فصوره في جناحه. وروى فذهبت أنعت فمازلت أنعت حتى التبس علي بعض النعت فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع في دون دار عقيل أو عقّال فنعته وأنا أنظر إليه، فجعل³⁵ يقول: باب منه كذا في موضع كذا، وباب منه كذا، وأبو بكر يقول: صدقت صدقت.

وقال ﷺ³⁶ لقد رأيته في الحجر وقريش تسألني عن مسراي قالت عائشة: فارتدّ ناس كانوا آمنوا به وصدّقوه³⁷ فضرب الله رقابهم مع أبي جهل، وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الرقوم هاتوا تمرّاً وزبداً و تزقّموا. فقال المطعم (ابن عدي): كلُّ أمرِك قبل اليوم كان أمم، غير قولك اليوم، وقام مطعم بن عدي فقال: يا محمد لو كنت شاباً لما كنت ما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً و منحدرّاً شهراً تزعم أن أتيت في ليلة فواللات والعزى لا أصدّقك، فقال أبو بكر: - يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبت، أنا أشهد أنه صادق.

وأخبرهم النبي ﷺ بغيرهم التي بين مكة وبيت المقدس عيراً: قال 38 إن آية ما أقول لكم إني مررت بغير لكم بمكان كذا وكذا، وقد أضلوا بغيراً لهم، فجمعه فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود، وغرارتان سوداوان. فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينتظرون حتى كان قريباً من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ.

وعند أبي نعيم³⁹ قالت قريش لرسول الله ﷺ لما أخبرهم بمسراه: أخبرنا ماذا ضلّ عنا، وآتينا بآية ما تقول؟ فقال رسول الله ﷺ: ضلت منكم ناقّة ورقاء عليها بزٌّ لكم، فلما قدمت عليهم قالوا: انعت لنا ما كان فيها. ونشر له جبريل ما كان عليها، كلّهُ ينظر إليه فأخبره! بما كان عليها وهم قيام ينظرون، فزادهم ذلك شكاً وتكذيباً. وعند البيهقي⁴⁰ لما أسري برسول ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة في العير، قالوا: فمتى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء. فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار، ولم تجيء فدعا النبي ﷺ فزيد له في النهار

35المصدر السابق ص 178 رواه ابن عساكر وأبو يعلى. عن أم هانئ رضي الله عنها

36 المصدر السابق ص 175 رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

37 المصدر السابق ص 159 رواه الإمام أحمد وأبو نعيم وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما .

38المصدر السابق ص 158 رواه ابن أبي حاتم والبيهقي وصححه والبرار والطبراني وابن مردويه عن شداد بن أوس.

39المصدر السابق ص 180 عن عروة وهو حديث مرسل

40المصدر السابق ص 180 وهو حديث مرسل

ساعة حبست عليه الشمس، فلم تُرَدَّ الشمس على أحد إلا على رسول الله ﷺ و يومئذ، وعلى يوشع بن نون قاتل الجبارين. وقال: مررنا بغير لقريش لما كان في مَصْعَدِي رأيتها في مكان كذا وكذا⁴¹ فنفرت مني الإبل وبرك منها أجمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري كسر البعير أم لا. فلما رجعت رأيتها عند العقبة فأخبرتكم بكل وجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا قال: ⁴² ثم انتهيتُ إلى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورك، وهاهي ذي تطلع عليكم من الشنية، فقال: الوليد بن المغيرة: ساحر.

فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد بن المغيرة. فأنزل الله تعالى: ﴿ما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ وقال ⁴³ ﷺ : مررنا بغير لقريش بمكان كذا وكذا، وقد أضلوا بغيراً لهم قد جمعه فلان، فسلمت عليهم فقال بعضهم: هذا صوت محمد. ونزل جبريل فصلى برسول الله ﷺ الصلوات كل صلاة بوقتها .

ولما دعا رسول الله ﷺ ⁴⁴ هرقل للإسلام، دعا هرقل أبا سفيان ليسأله ويتحقق من شأن المسلمين، ودعا الروم، فقال:- يا معشر الروم هلّموا إلى أن نجيبَ هذا الرجل إلى ما دعانا إليه ونسأله الشام أن لا يوطئ علينا أبداً، فإنه لم يكتب قط نبي من الأنبياء إلى ملك من الملوك يدعو إلى الله فيجيبه إلى ما دعاه ثم يسأله مسألة إلا أعطاه مسأله ما كانت فأطيعوا. قالوا: لا نطأوعكم في هذا أبداً. قال أبو سفيان: والله ما يمنعني من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه، إلا أي أكره أن أكذبَ عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني حتى ذكرت قوله ليلة أسري بي ، قلت: أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قلت: إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا الحرم في ليلة فجاء مسجداً هذا مسجد إيلياء، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح. قال: وبطريق إيلياء (القدس) عند رأس قيصر، قال البطريق قد علمت تلك الليلة. قال: فنظر قيصر وقال: وما علمك بهذا؟ قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق باب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني، فاستعنتُ عليه عُمالي ومن يحضرنني كلهم فعالجته فلم نستطع أن نحركه، فكأنما نزال به جبلاً فدعوت النجاجة، فنظروا إليه، فقالوا: هذا باب قد سقط عليه النجاف أو البنيان، فلا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى عليه. فرجعت وتركتته مفتوحاً. فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب، وإذا فيه أثر مربوط الدابة. فقلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي، وقد صلى الليلة في مسجدنا. فقال قيصر:

41 المصدر السابق ص 178 عن أبي يعلى وابن عساكر عن أم هانئ رضي الله عنها.

42 المصدر السابق ص 180 وهو حد! ما مرسل رواه ابن أبي شيبة وابن جرير

43 المصدر السابق ص 158 رواه ابن أبي حاتم والبيهقي وصححه والبزار والطبراني وابن مردويه عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

44 المصدر السابق ص 169 رواه ابن سعد عن الواقدي وهو حديث مرسل

- يا معشر الروم أليس تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بشركم به عيسى، وهذا هو النبي الذي بشر به عيسى فأجيبوه إلى ما دعا إليه. فلما رأى نفورهم قال:
- يا معشر الروم دعاكم مليكم يختبركم كيف صلابتكم في دينكم، فشتمتموه وسببتموه وهو بين أظهركم. فخروا له سجداً.

وهذا الثقب اليوم يتبارك به أهل القدس حتى الآن .

وقد جعل الله الإسراء للنبي ﷺ قبل المعراج حتى إذا صحَّ عندهم الإسراء كان ذلك دليلاً لهم على صحة المعراج. وقد تبين لنا مما تقدم أن الإسراء ثبت بأدلة قطعية لا احتمال فيها، وكذلك المعراج ثبت بجملة من الأحاديث الصحيحة التي قاربت درجة القطع أن الله تعالى أصدق نبيه سيدنا محمداً ﷺ في تلك الليلة بعد الإسراء إلى السموات العلى، ثم أعاده إلى مكة قبل أن يطلع الفجر.

فيجب علينا الإيمان بذلك، ومن هنا أدخل العلماء موضوع الإسراء والمعراج في جملة العقائد، وقالوا: من أنكر الإسراء فقد كفر، ومن أنكر المعراج فقد فسق ويخشى عليه.

ويرحم الله البوصيري حيث يقول:

سريت من حرم ليلاً إلى حرم كما سرى البدر في داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلةً من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرم

وكانت قصة الإسراء والمعراج هذه ذا أثر بالغ عند الأدباء العرب والأوروبيين فحاولوا بمزيد من الاهتمام أن يكتبوا الكتب والمؤلفات الخيالية يظهرون فيها براعتهم وحذقتهم مستمدين من أحاديث المعراج بعض الألوان والظلال أمثال المعري في كتابه (الغفران) وأبي عامر بن شهيد الأندلسي في (رسالة التواضع والزواجع) (وابن شرف القيرواني في) (رسالة الانتقاد) .

وراح الأوروبيون ينسجون على منوال أولئك الأدباء، فصنع جون ملتن الانكليزي (الفردوس المفقود) وصنع شاعر الطليان دانتي (الكوميديا الإلهية) .

ولكن هيهات هيهات فما أسمى وما أنبل ما سعى إليه رسول البشرية ﷺ وما أسخف الذي سعى لأجله أولئك الذين لم يدركوا كنه وفقه أسرار الدعوة المحمدية، وحسبي أن أقول هذا، وحسبي الله ونعم الوكيل .

أيها المسلمون: أيها العرب: إن ذكرى الإسراء والمعراج فيها كثير من الإشارات والإيحاءات، فهي ليست ذكرى عابرة نقوم فيها بذكرى عابرة وكفى، إنها صرخة داوية في أعماق الضمير، تهيب بكم لاسترداد الوطن، وإنقاذ البلاد، وإعادة الشرف والاعتبار والسمعة.

أيها المسلمون: أيها العرب: إن بلدكم فلسطين هي بلد النبوات والرسالات فقد آوت إبراهيم وموسى وأنبتت مريم وعيسى، وكانت لسيدنا محمد ﷺ مسرىً ومعراجاً، في قدسها (القيامة) وعلى أرضها الطاهرة (الأقصى المبارك) .

أيها المسلمون، أيها العرب: قد علمنا من قصة الإسراء والمعراج أن الله تعالت قدرته أسرى بنبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام بمكة، على المسجد الأقصى في القدس من أرض فلسطين، ثم نصب له المعراج على أرض فلسطين، وبعد أن تمت رحلته السماوية في ملكوت الله رجع ثانية إلى المسجد الأقصى، إلى أرض فلسطين، ثم قفل راجعاً إلى المسجد الحرام، إلى مكة المعظمة .

ما السر في هذا كله؟ ألم يكن في الأرض بلدان ومدن ينطلق منها ويعود إليها غير هذين البلدين؟ نعم إن الحكمة في ذلك واضحة مشرقة، إن ذلك يشير إلى أن المسلم الذي يعظم الكعبة ويغار عليها يجب ان يعظم المسجد الأقصى، ويغار على الصخرة المشرفة لأن سيدنا محمداً ﷺ يربط بينهما بهذا الرباط الوثيق، بل إن ذلك يشير إلى المسجد الأقصى وأرض فلسطين، لم تربط بالمسجد الحرام فحسب، بل ربطت مع ذلك في السماء وأهل السماء .

أيها المسلمون أيها العرب: اذكروا في هذه الذكرى أن بلدكم هذه بلد البطولات، والرجولات والأجساد، والميادين الخالدة، والمعارك المشرفة، في كل ذرة من ترابها دم شهيد، ونفس مجاهد، وروح بطل، وفي أجوائها عبير صلاح الدين، ونور الدين، وقوافل المجاهدين من آبائكم وأجدادكم الميامين .

أيها المسلمون، أيها العرب: إن حطين تناديكم لترفعوا راياتها، وإن دير ياسين تدعوكم لتأخذوا بثارتها .

إن أماننا أملاً باسماً يدفعنا لاستعادة ما ضاع من عزة، وما تمزق من شمل، وما تهدم من بنيان.

كلنا أمل أن يفهم العرب والمسلمون معنى الإسراء والمعراج فهماً صحيحاً، فلا يطيب لهم النوم، مادامت أرض الإسراء تحت سلطان اليهود، ولا تسعد لهم حياة ما دامت ساحة المعراج تحت ظلال إسرائيل، ولا يهتفون في بلد ما دامت جوهرة البلاد العربية، وتاج بلاد الإسلام، يقوم فيها للأذلاء دولة، وترتفع لهم وسط بلاد العرب راية .

إن واجبنا نحن المسلمين والعرب ، أن نقرأ قصة الإسراء والمعراج، لا على أنها من باب القصص والذكرى، بل على أنها تذكرة تحفزنا إلى العمل، وتدعونا إلى المضي قدماً في سبيل الوحدة العامة الشاملة التي تجمع القلوب المتفرقة والقوى المشتتة . فتفتح منها إلى المجد طريقاً، وإلى الجهاد دليلاً وإلى العمل الصالح معراجاً .

أيها المسلمون، أيها العرب: اعملوا وجدوا وسيقظوا واضرعوا إلى الله العلي القدير أن يجعل أيماننا أيام عز وفخار، وقوة وانتصار، والله ناصر المؤمنين ، ولي المتقين، ولن يضيع عمل العاملين .

أيها المسلمون : إن إحياءات هذه الذكرى لا تكاد تحصى، وإن من أبرزها ما يجب لفلسطين على المسلمين فإن بين المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في فلسطين، رابطة قوية متينة، فالمسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى سيدنا محمد ﷺ، فالمسلم الذي يحافظ على المسجد الحرام يجب عليه أن يحافظ على المسجد الأقصى، وإذا كانت العواصم الإسلامية في أنحاء الأرض فتحتها خلفاء سيدنا محمد ﷺ من بعده، فإن بيت المقدس فتحتها سيدنا محمد ﷺ بذاته فيجب أن تظل طاهرة نقية من رجس الصهاينة المعتدين، وأن ترفرف عليها دائماً وأبداً راية سيدنا محمد ﷺ سيد المرسلين، وهذا واجب أكيد على كل مسلم في هذه الأرض، وفق الله المسلمين على العمل على تحقيق ذلك ...

وهكذا قضيت مع حضراتكم مع هذه الرحلة الربانية التي كتب عنها سيدي الوالد رحمه الله تعالى وهذا غيض من فيضه رحمه الله ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتب الحديث الشريف وإلى كتاب مولاي السيد الوالد الشيخ محمد سهيل الخطيب رحمه الله .

أودعكم على أمل اللقاء بكم في سلسلة جديدة إن شاء الله تعالى .

تحية طيبة عطرة لكم والسلام عليكم .